

رمز الدم

قراءة في ديوان "أطلس المعجزات" للشاعر صالح خرفي

محمد السعيد بن سعد
جامعة أدرار

إن مقارنة في المتن الشعري الإحيائي إبان مرحلة الاحتلال، يجعلنا نقف على خصوصية مميزة، إذ الماهية الفنية لهذه القصيدة محددة بشروط الغائية الإصلاحية الثورية، ضمن جمالية الخطابة التي حكمت هذا الشعر الذي تبلور في حضان المدرسة الإصلاحية، ذات المرجعية التراثية، فكان بذلك مرآة لواقعه، وشهادة على تاريخ حامل لأثر الاحتلال والمعاناة، ولبلاغة التعبئة والشهادة⁽¹⁾، والراصد لهذا التراث يتجلى له مدى استجابته للواقع والثورة من ناحية، ومدى قدرته على التعبير جمالياً عن قوة الثورة وملحمتها⁽²⁾ والتي أعطت مثالا حيا لإدارة الإنسان في الجزائر وخارجها من جهة أخرى، وثالثة مدى تطابق المضمون والشكل في التعبير عن هذا كله.

إن شاعرنا الذي اخترناه من بين شعراء الثورة المباركة - وهم كثر - لا يخرج عن هذه الأطر، إلا أن ما يلفت النظر في قاموسه الشعري، الموسوم: "أطلس المعجزات" ذي المسحة الحمراء، تلك المسحة المتباينة مضموناً ودلالة ورمزاً هو تمشكل دال "الدم" وابعاده الإحائية.

فالقراءة الواعية للمتن تؤكد ذلك التنوع الذي انبجس خلال تدرسه، وإبان حياته العلمية الذاخرة بالعطاء، ترك هذه البصمة في ديوانه "أطلس المعجزات"، تنوعاً في الموضوعات: أوراس⁽³⁾، مأساة تبسة⁽⁴⁾، الجزائر في الإضراب العام⁽⁵⁾، على الشاهقات⁽⁶⁾، يوم الجزائر⁽⁷⁾، استريحي يا جميلة⁽⁸⁾، العيد الجريح⁽⁹⁾،

على الرغم من أن هذه الموضوعات تتقاطع في الحقل الثوري، التضالي،
الجهادي تترأى كالنحلة؛ تنوّع في المكان: ما قيل في تونس⁽¹⁰⁾، القاهرة⁽¹¹⁾،
دمشق⁽¹²⁾، الكويت⁽¹³⁾،

تنوّع في الزمان 1965⁽¹⁴⁾، 1966⁽¹⁵⁾، 1957⁽¹⁶⁾، 1958⁽¹⁷⁾، 1959⁽¹⁸⁾،
1960⁽¹⁹⁾، في الإنسان: الصاعدون⁽²⁰⁾، الخفافيش⁽²¹⁾، المرأة⁽²²⁾، الشباب⁽²³⁾،
في الإيقاع: من قصيدة الشطر⁽²⁴⁾، إلى قصيدة الشطر⁽²⁵⁾، تجد نفسك في أطلس
المعجزات بين عنتره⁽²⁶⁾، المتنبئ⁽²⁷⁾، البحري⁽²⁸⁾، محمد العيد⁽²⁹⁾، مقدي⁽³⁰⁾،
إيليا⁽³¹⁾، ويتزاج بين التناص والاقتراس.

إن الباحث غالبا ما ينصرف إلى الذي يعينه من أمر النص الأدبي، حيث إن
النص في "أطلس المعجزات" اصطنع "الرمز" مما يدفعنا إلى تأويل النص
انطلاقا من تصورنا نحن حول النص ومكان العطاء فيه⁽³²⁾.

وأول ما نلاحظه هنا أن الناص يتناول في قصائده بشكل لافت لفظة "الدم"
بإشارات ونكت ورمز لشبكة من القيم والمعاني والمثل، ويرتبط تارة بالحرية
والنصيحة والنضال، وأخرى بالتميز وغيرهما بالعظمة والقداسة⁽³³⁾، يحرك
الانفعال، من حب شديد وعطف على الأول إلى كره مقابل للآخر مستعينا
ببدائل الدم كالضحايا، والجراح، والذبح، والمجازر، التخطيب⁽³⁴⁾.

الدم دمان: الدماء الذكية الطاهرة، والدماء الخبيثة، والدماء إرهابها ينبئ عن
وحشية وحقد ودمار للإنسانية⁽³⁵⁾، ودماء لا تطلب لنفسها، مزهقها لا ينعت
بمصاص الدماء لأنه ليس بمتعطش للدماء، فهو يعي قيمة الخلق والحياة والإنسان⁽³⁶⁾.

من هنا كان التميز؛ دم يرمز إلى الفدى وإلى الحياة وإلى الوفاء كالشجرة
الطيبة، وآخر يرمز إلى الموت والفناء غير المبررين كالشجرة الخبيثة.

كل هذا وذلك كان واضحا في صفحات " أطلس المعجزات "؛ في قصائده التسع والعشرين المليئة بالإيماءات والرموز والتفاصيل التي تحتاج إلى دراسة مطولة، فهي إيمان بالثورة والعروبة، وبالتفاؤل والأمل في المستقبل، إنك لا تكاد تبرح قصيدة إلا ولفظ " الدم " ماثل فيها شاخص يبصره يهديك إلى إيماءات وظلال يلوح بها المقام والسياق.

فلا غرور إذا أن نقول إن دال " الدم " في أطلس المعجزات ظاهرة قمين بنا أن نباحثها في رمزياتها، لكن ليس من الفطرة ولا الذوق السليم أن ندخل الدار بغيرما استئذان فمن هو صاحب، " أطلس المعجزات " ؟ هو:

صالح خرفي شاعر وباحث جزائري من مواليد 1932م، " بالقرارة " جنوب الوطن، تتلمذ في إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالمدرسة الابتدائية " الحياة " بمسقط رأسه حفظ القرآن الكريم، خريج جامعة الزيتونة، والمدرسة الخلدونية بتونس وجامعة القاهرة، حصل على درجة الماجستير (بتقدير ممتاز) عن رسالة بعنوان " شعر المقاومة الجزائرية " (1830-1966) سنة 1966م. وأحرز على شهادة دكتوراه بمرتبة " الشرف الأول " عن أطروحة بعنوان (الشعر الجزائري الحديث) سنة 1970 وهو عضوفي مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو مؤازر بمجمع اللغة العربية الأردني.

عمل، مسؤولا للعلاقات مع البلاد العربية في أول وزارة للتربية بعد الاستقلال.

أستاذًا للأدب الجزائري الحديث بجامعة الجزائر.

رئيس تحرير مجلة الثقافة الجزائرية من 1971 إلى 1976.

مدير الإدارة الثقافية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ 1976.

رئيس تحرير مجلة العربية للثقافة منذ 1981.

مديرا عاما مساعدا بالإنابة لقطاع الثقافة بالمنظمة العربية للثقافة.

حاضر في جامعات: القاهرة، الكويت، الدوحة، دمشق، الرباط، تونس، بغداد.

شارك باسم الجزائر في مؤتمرات أدبية وثقافية وفكرية ومهرجانات شعرية.

نشر دراساته وأشعاره في مختلف الدوريات العربية كالمعرفة السورية، الأعلام العراقية، الفكر التونسية، العربي الكويتية، الدوحة القطرية، دعوة الحق المغربية، مجلة العالم العربي القاهرية، وبعض الدوريات الجزائرية كالثقافة والمعرفة والأصالة.

ترجمت مختارات من شعره إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية، والروسية. نال عدة جوائز وأوسمة استحقاقية منها:

(وسام المقاوم) من وزارة المجاهدين سنة 1984، شهادة تقدير من رئيس الجمهورية على نضاله في خدمة الثقافة الوطنية 1987، (الوسام الثقافي) من رئيس الجمهورية التونسية 1972، (جائزة الشعر) من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة سنة 1959، (جائزة الشعر الأولى) من وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية سنة 1972، تغنت المطربة الكبيرة وردة الجزائرية ببعض قصائده التي لحنها رياض السنباطي وبلغ حمدي. توفي يوم الإثنين 23 نوفمبر 1998، بإحدى المستشفيات التونسية على إثر أزمة قلبية.

خلف عدد من المؤلفات منها: الأبحاث والدراسات ومنها القصائد الشعرية (دواوين):

الأبحاث والدراسات:

1. شعراء من الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969.
2. صفحات من الجزائر ش. و. ن. ت، الجزائر، 1975.
3. الجزائر والأصالة الثورية ش. و. ن. ت، الجزائر 1977.
4. شعر المقاومة الجزائرية ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982.

5. الشعر الجزائري الحديث ش. و. ن.ت، الجزائر 1975.
 6. في ذكرى الأمير عبد القادر، م.و.ك، الجزائر، 1984.
 7. في رحاب المغرب العربي، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1985.
 8. أحمد رضا حوحو في الحجاز (1884 - 1945)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
 9. المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، ش. و. ن.ت، الجزائر، 1983.
 10. عمر بن قدر الجزائري، م.و.ك، الجزائر، 1984.
 11. حمود رمضان، م.و.ك، الجزائر، 1985.
 12. محمد السعيد الزاهري، م.و.ك، الجزائر، 1986.
 13. محمد العيد آل خليفة، م.و.ك، الجزائر، 1986.
- ب- الشعر:

1. صرخة الجزائر الثائرة، وزارة المعارف، قطر، 1958.
 2. نوفمبر، وزارة المعارف، قطر، 1961.
 3. "أطلس المعجزات"، ش.و.ت، الجزائر، 1967.
 4. أنت ليلاي، ش.و.ت، الجزائر، 1974.
 5. من أعماق الصحراء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.
- كما شارك (صالح خرفي) بالتحريض والصياغة والإعداد في بعض الكتب الصادرة عن إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منها:
- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية 1985.
 - العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية 1985.
 - من قضايا اللغة العربية المعاصرة⁽³⁷⁾.

هكذا نرى أن نتاج الباحث الشاعر أغلبه في الأدب الجزائري ومن ذلك ديوان (أطلس المعجزات) في مئتين وثمانية وثلاثين (238) صفحة من الحجم الصغير يضم تسعة وعشرين (29) قصيدة ثورية، الطبعة الثانية الصادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

وما يشدك إلى مدارس نص الديوان، الدال المتحرك " الدم " .

"الدم" من دمّ أودمّ، ودم جاء في التهذيب: قال الليث: الدم معروف والقطعة منها دمه واحدة وكأن أصله دمي لأنك تقول دميت يده.

وقال غيره: الأصل: دما (وقال غيره الدم اسم على حرفين)

عن أبي الهيثم، أنه قال: الدم اسم على حرفين فقال بعضهم في التثنية الدميان وفي جمعه الدماء، وقال بعضهم: الدمان، وانشد:

فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين.

فثناه بالياء فيقال في تصريفه: دميت يديما، فيظهرون في دميت وتدمي الياء والألف للتين لم تجدهما في دم، وقال: مثله يد أصلها يدى... وقال الليث: المدمى من الخيل: الأشقر الشديد الحمرة، شبه لون الدم، وكل شيء في لونه سواد وحمرة فهو مدمى (38).

وفي تاج العروس: (دمّه) يدمّه دماً (طلاه) بأي صبغ كان. ودم البيت يدمه دما طلاه بالنور. ودم السفينة يدمها دما قبرها أي طلاها بالقار ودم العين، الوجعة يدمها دما يدمها دم؛ طلا ظاهرها بدمام من نحو حبر وزعفران.... الدم الفعل من الدمام وهو كل دواء يلطخ على ظاهر العين والدم الأرضي يدمها دما؛ سواها دم فلان؛ عذبه عذابا تاما، ودمه يدمه؛ شذخ رأسه وقيل شجه، ودم القوم دمهم دما؛ طحنهم فأهلكهم كدم دمهم (39).

ويقول ابن منظور في اللسان: (دمم) دم الشيء يدمه دما؛ طلاه، والدم والدمام ما دم به ودم شيء إذا طلي، والدمام بالكسر دواء تطلي به جبهة الصبي وظاهر عينيه، وكل شيء طلي به، فهو دمام والدمام؛ الطلاء بحمرة أو غيرها.... والدم؛ نبات والدمام؛ شيء يشبه القطرن يسيل من السلم والتمر، أحمر الواحد دمدم وهو حيضة أم اسلم شجرة⁽³⁹⁾.

الدم السائل الأحمر الذي يجري في عروق الإنسان والحيوان دمي تدميه: الجرح أسال منه الدم⁽⁴⁰⁾.

إن شاعرنا لم يكن بدعا في اعتماد " الدم " ذلك أن الدال كان مصاحبا للمعارك والخصومات والصراعات طوال العصور وكان حاضرا في القصيدة العربية قديمها وحديثها، الجزائرية وغيرها وفي التراث الحضاري العقادي للأمة العربية الإسلامية من ذلك قول عنتره:

حتى تسريل بالدم

ولقد ذكرت والرماح نواهل مني وبيض الهند يقطر من دم

وقول المتنبي: إشارة إلى التضحية والوفاء.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق جوانبه الدم

ويقول أيضا:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

ويقول أحمد شوقي: يشير إلى طريق وسبيل الحرية وثمنها

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق.

ومن الشعراء الجزائريين كثير:

رمز الدم قراءة في ديوان "أطلس المعجزات" للشاعر صالح خرفي

يقول الشاعر الأمير في تشجيع الجيوش والأشادة بهم.

فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة ممسوحة بثياب كل مجندل.

أما محمد العيد فقد ذكر ذلك في غير ما قصيدة:

1- قصيدة " صرخة ثورية " 1932 وهي إرهاب للثورة المسلحة⁽⁴¹⁾

أما في عروقتك أرقى الدما أما في فؤادك أذكر الحمه؟

نجد فيها اشارة إلى التميز:

2- قصيدة (ابا المنقوش) وهو اسم جبل ولك أن تقرأ فيه الرمز⁽⁴²⁾.

لقد بذل الفدى وضحي بكل دم عزيز منه غالي

ويشير إلى رمز التضحية والفدى:

قصيدة (ثورة بنت الجزائر)⁽⁴³⁾

كم غدونا إلى جريح طريح فأسونا جراحه بالضماد

وحنونا على شهيد مجيد خط تاريخه بأذكي مداد

رمز الخلود والتواصل:

4- قصيدة تهنئة الجيش وتحية العلم⁽⁴⁴⁾

بدا بدم المستشهدين مضرّجا فضمخ أجواء الجزائر بالعطر

الدم رمز العظمة والكبرياء والمكانة العالية.

5- قصيدة (وقفه على قبور الشهداء)⁽⁴⁵⁾.

لم أجد في الرجال أعلى وساما من شهيد مخضب بالدم

أما شاعر الثورة مفدي زكرياء، فيقول (46)

وناديت - بالدم - عدل السما وقدمت للنار قربانيه

الدم رمز الوساطة والوسيلة ويقول (47).

تبارك شعب، تحدى العنادا فصام وأضرب سبعا شدادا

ومن دمه، يونوي، ويروي سنابله ويغدي البلادا

رمز الحياة والفدى.

وجاء في النشيد الوطني: (48)

صرخة الأبطال من صرخ الفدى فاسمعوها واستجيبوا للندا

واكتبوها بدماء الشهداء واحفظوها لبني الجيل غدا

رمز: الخلود والتواصل.

ونصل إلى عز الدين ميهوبي يقول (49)

وخضبني بتراب الأرض ملحمة تنموا على شفة التاريخ بورغدا

ويقول:

أجنة الزمن المسحوق في دمننا تفجر الرحم المحموم في البلدا

رمز الأثالة والنسب العريق:

فليس بغريب ولا مجديد أن يتعدد لفظ الدم في أطلس المعجزات ويتلون بلون

الثورة مكانا وزمانا ويمنهج الشاعر عمقا وعرفانا.

رمز الدم قراءة في ديوان "أطلس المعجزات" للشاعر صالح خرفي

إن دال " الدم " غطى قصائد الديوان بلفظه أوبدائله المتباينة، نبسط القول في بعضها بشيء من التركيز والضغط لتبين إشارات الدم وإيحاءاته بدءاً من القصيدة الأولى " أوراس " انتهاء بالقصيدة الرئيسة " أطلس المعجزات " (50).

يقول الشاعر ويشير إلى التمييز:

وأدت شبائك وأرتوت بدم البرى وجسمه فوق الرغام يداس
وجئنا بالبراعة من ظبـاـنا فخطب آية يدم الشهيد (51)

طللتنا بنجمة وهلال
وسلام على ممر الليالي
واخضرار على الربى والتلال
ودم مفرد القداسة غال (52)

لن يضيع الدم الذكي بأرض خضبها الفذ (حاتمي) العطايا (53)
حيث الجفون على الجزائر ساهرة
حيث الخنوعلى الدماء الطاهرة
فامتدت الأيدي تباع كل ثائر
شرفت دماه فهب يتأثر للجزائر (54)
الشاهقات (مصفحات) كافحة
وعلى البنود الخضر يمن جناحه
ومن الدم المسفوك طيب راحة (55)

قطرة أنت من - دم قدسي كم شفا غلة الشهيد وأروى

إن نظرة متأمل لهذه الأبيات والسطور، يكشف التميز ذلك أن الدم العربي دم المسلم ودم الحر ليس كدم الدخيل الغاضب؛ الدم البريء -دم الشهيد" لا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ..."(57).

دم مفرد القداسة غال وفي الحديث (زوال الدنيا أهون عند الله من سفك دم امرئ مؤمن) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

"الدم الذكي": الشاعر يلجأ هنا إلى الأسطورة يقول (لحاتم) المشهور بالكرم وهي مرجعية ثقافية، كلما كان إحساس الشاعر بعمق المرجعية التي يركن إليها كلما تعددت في يده إمكانات الاستعمال أسعفته القدرة الإبداعية على المزج والتركيب بين العناصر فيؤلف تركيبه غاية في الجدة والإبداع⁽⁸⁵⁾.

توظيف الأسطورة مسجدة في شخصية "حاتم" السخي الكريم (بكل ما تحمله هذه الشخصية من أبعاد أسطورية، والدم رمز للعطاء والسخاء فالكل يحمل القضية أبا عن جد فلا تموت الفكرة بإراقة هذه الدماء الذكية الطاهرة؛ فكرة عميقة عمق القضية العادلة.

"الدماء الطاهرة" شرفت دماه وما الدم المسفوك طيب الراحة؛ رائحة دم الشهيد تفوح فإنه لا يغسل ولا يكفن بل يدفن بلباسه.

"قطرة أنت من دم قدسي " فدماء الجزائريين من دم قدسي متميز، التميز الحضاري الثقافي العقائدي، وما يؤكد هذا التميز هذه المقارنة يقول الشاعر:

بالأمس نطلب للبلاد سيادة	فثقوا بنا اليوم نطلب ثارا
لا، لن تضيع دماؤنا وإننا سنحـ	سوا من دماء المعتدين عقارا ⁽⁵⁹⁾
فضمخ الترب بالدم المفسوك من دمهم	إن الدماء لأس المجد تشييد ⁽⁶⁰⁾
قالوا الضحية في الأعياد واجبة	قلت الضحية أعداء مناكيد ⁽⁶¹⁾
بردى كم يحن أن لو ثراه	أحمر من دماء عدوك سالا ⁽⁶²⁾

رمز الدم قراءة في ديوان "أطلس المعجزات" للشاعر صالح خرفي

- تلك دماء الجزائريين تفرز بقدسيته وطيب رائحتها وشرفها، وهذه دماء (اللعدي) (جريح - وميتة) الأعداء (دماء عنوك) فالتائر متلهف للاحتساء منها لما تحمله من حقد ووحشية "والدم" عند صالح خرفي رمز للحياة والتفاؤل أيضا.

فضمخ التراب بالدم المقسوك من دمهم إن الدماء لأس المجد تشييد
* فالدماء حجر الساس تبنى عليها الصروح القوية.

كان قطر الخريطة ميتا.
فتجلى دما بها يتلالا.

أراد العدو، أن يغتصب الأرض ويرجعها فرنسية بإراقة الدم ولكن الدم أصبح لؤلؤة، وغرة محجلة وضيئة أظهرتها للعالمين، فاقتدوا واثسوا بها.

يوم يعز في التراب الرفاة.
بدماء بها أتنا الحياة.
وعلى روحها تقام الصلاة.
في رحاب (كتشاوة) والدعوات⁽⁶⁴⁾

إن الدم الذي يتخذه الغاصب رمزا للتخويف والترويع أصبح في الفكر الجزائري العربي المسلم باعثا على الحياة لأنه يرى فيه الشهيد المخصب بالدماء يرى الشهادة والجنة والعلو والقضية.

قمم موطأة المتون لثائر.
روى صنوبرها دما فتفرعا.
فإذا امتطأها غاضبا مادت به.
وعلى جلا مدها تلقى المصرعا⁽⁶⁵⁾.

يا للعجب! صدق المثل: من حفر حفرة لأخيه سقط فيها بل، إننا نقول إن
عظمة الخالق تتجلى في أفعال العباد من خلال انقلاب السحر على الساحر، فإذا
الدم البرئ المسفوح يسقي الصنوبر (الرمز) الذي ينبجس ويتفرع ليصبح فخا
منصوبا للساحر وممتص الدماء يلقيه مصروعا.

(فالدم) هنا بات سلاحا آخر في يد النائر ينفذ فيه الأمل والحياة ويدمر عدوه.

سئم الناس في الحياة توالى العبد واستقلوا طيوف الواسم
وعشقنا- وما سئنا- حياة ثغرها بالدماء والدمع باسم⁽⁶⁶⁾.

من ذا الذي يعشق حياة الدماء، لولا أن الدم عنده يعني شيئا آخر يرى فيه
الحياة والأمل.

وانظر إلى تلك الصورة الشعرية (الثغر يعبر عن الحياة ولكنها حياة ضيقة
غائرة وغامضة على الرغم من أنه من جهة أخرى مدلول التبسم والفرح فيه
تفاعل قوي بين الشكل والمضمون.

لا تقف الدلالات عند هذا الحد، بل إن إشارات "الدم" وإيحاءاته تتجاوز
التمييز والحياة إلى:

ج- رمز الإنتماء، يقول الشاعر:

جرحنا متخن، ولكن سيفبدو في سبيل الإخاء جرحا معافي⁽⁶⁷⁾

جرحنا نحن وانتموا في ملتقى
الريات، وحدنا الضماد واصهرا⁽⁶⁸⁾.

قطرة أنت من دم قدسي كم سفا غلة الشهيد وأروى⁽⁶⁹⁾

رمز الدم قراءة في ديوان "أطلس المعجزات" للشاعر صالح خرفي

إن الدماء رمز الوحدة والانتماء إلى القومية العربية، فالجزائري أخ لكل عربي
أخوة الدم، فالذي جرح يضمده الآخر ويواسيه.

د- الدم في القصائد جاء رمزا للخلود والتواصل بين الأجيال:

صفحاته جثث العدا، وبراعه رشاشنا، والخبر من دم ودمع⁽⁷⁰⁾
تصبغ الفجر كل مطلع فجر يدم أريق وسالا⁽⁷¹⁾
فلرب أم ارضعت طفلا لها بعد الفطام، دماءها والأدمعا⁽⁷²⁾

لرصاص صفحات لا كصفحة الكتاب ولكنها جثة العدو، والقلم الذي
يخط عليها الرشاش وحبر القلم هو "الدم" الذي يخلد هذه الذكريات الأليمة
كتوارثها الأجيال، لأن الحرية لا تعطى ولكنها تؤخذ؛ كفاح وعمل، خلد الدم
عاليا ررقا، هذا (الدم) الذي أرضعته المرأة الجزائرية أبناءها ليتم التواصل حبا
للأرض وتمسكا بها وكرها للاحتلال وأعماله البشعة.

جاء كل هذا في صور شعرية رائعة جعلت من "الدم" شيئا آخر: حبرا،
صبغا، حليبا،.... إلخ.

هـ- (الدم) وعيد وانتقام ينتظر الغاصب الغاشم، يقول خرفي:

بالأمس نطلب للبلاد سيادة فثقوا بنا اليوم نطلب ثارا
لا لن تضيع دماؤنا إنا سنحـ سومن دماء المعتدين عقارا
عشقوا العيد زينة، وعشقت الـ عيد بندا مرفرفا في الغيوم
ودماء جياشة تتلظى فتروي مصاصها بالجحيم⁽⁷³⁾

فامتدت الأيدي تباع كل ثائر
شرفت دماه، فهب يثار للجزائر⁽⁷⁴⁾
لن يضع الدم الذكي هباء
لا ولا عهدنا لروح الشهيد

لا انتفاضات يائس، مستميت ولا ارتعاش الذبيح في كف جازر
توقف الزحف، فالمصير-فرنسا- قدر صبه على الظلم قادر⁽⁷⁶⁾

المتأمل للأبيات والسطور يسلم أن الدماء رمز التلقين والانتقام من وحشية
الفرنسي الغادر، فالدماء تتحرك وتصير أسودا تحسوا دماء الغاضب، وهي دماء
محركة مسعرة تُصَبُّ في بطن مصاصها جحيما وسعيرا، فالدماء الشريفة دافع
للثأر والانتقام، والدم الذكي الذي أرضع لا يتنكر للعهد والميثاق الذي أبرمه
الشعب مع الشهيد، عهد الحرية والانتصار.

ودم الذبيح والمجازر المرتكبة في حق البرئ يحسبها تخويفا وردعا، وإنما هي عكس
ما يرى، فقد رسمت للثأر الهدف يوضح- فرنسا- وقد وفق الشاعر إذا وضع الدل
(فرنسا) في جملة اعتراضيه لأن هدف الحر ليس فرنسا إن احترمت نفسها، وإن
فرنسا هنا دال متغير إذ كل من سلك مسلكها سيقى المصير نفسه.

و- ويأتي الدم ليدل على بشاعة فرنسا ووحشيتها وخرقها للمواثيق الدولية
الإنسانية، في تصوير لهذه الهمجية والوحشية...

وأدت شبائك وارتوت بدم البرئ وجسمه فوق الرغام يداس
الارتواء كفاية وشبع؛ يدل على الكثرة والسفك.

لم يحظ فيك بهجة ومسرة شعب يعل من دماء ويكرع⁽⁷⁷⁾
إنها الأرض الطيبة والأم المباركة لم ينعم شعبها باستقرار، عليل من سفك
دمائه.

أيامك السوداء ما بين الذئاب الضاربة
والعيد خضب منك كفا بالدماء القانية

إنه يخاطب الأرض الطاهرة الجزائرية زمن السواد والظلام في كل العهود،
النساء يتخضبن بالحناء رمزا للفرح والسرور، وأنت في هذا العيد كفك مخضبة
بالدماء الذكية رمز البشاعة والحقد الدفين.

خيروني عن راقم في الماء
عن غريق إلى القفا في الدماء⁽⁷⁹⁾

إنه الإنسان الجزائري في بحر من دماء الشهداء الذكية يغوص ويسبح.

اليوم طوف في الوجود، وحوما
الجهد ينهكه، ويقتله الظمأ
يستصرخ العزمات ويستسقي الدماء⁽⁸⁰⁾

عطاش لا يجدون ماء غير دمائهم، بشاعة ما بعدها بشاعة.

أمذبح الأبناء منتهك الستائر
بحر الجزائر مد لهم القعر غائر⁽⁸¹⁾

(الدم) يشير إلى المكان في بديل الدم (مذبح) انتهكت حرماته.

وافترشنا بكل فخر صخورا شرقت بالدماء وناءت جماجم⁽⁸²⁾

يفترش الجزائري الصخور المشرقة بدمائه من جراء فصل الجثة عن الرأس إن
"ناءت جماجم" كناية عن الذبح والمجازر التي ارتكبت في حق الأبرياء.

والضحايا تراقصت في بلادي فوق بحر مخضب الموج زاخر⁽⁸³⁾

صور شعرية متوالية تكشف عن بشاعة الاحتلال، الضحايا تتراقص، تسقط
الواحدة تلو الأخرى بتراكم بعضها البعض الضحايا (دم)، والبحر (دم) ومخضب
(دم) الموج (دم) وأنها صورة الدماء الزكية.

ز- (الدم) أيضا رمز الفدى والتضحية.

أقسمت أن الأطلس الدامي
يجبى للبرية هاديا ومبشرا⁽⁸⁴⁾
إن فداهم بالدم
فوق الصعيد الأقدس⁽⁸⁵⁾
أحقي دمع يتامى شردوهم يا جميلة
ودما حرا بريئا، موج الغدر سيولة⁽⁸⁶⁾

إن رمزية الدم في أطلس المعجزات تباينت وتلونت لتؤلف صورا شعرية عكست ثقافة الشاعر وحضارته وانتماءه لترتبط بعلائق تلازم الدم كالدمع، البحر، الرصاص، الرعب، المنايا، دم يرتبط بالزمان والمكان، زمان طال سواده وظلامه في مكان مقدس طاهر (أرض الجزائر الطيبة).

الله أكبر جل من خلق الحيا
لوشق فيها من دمانا أنهارا
الله أكبر للدماء، للنار ففي
كبد السما، الله أكبر، للذرا⁽⁸⁷⁾.
يا شهرنا الدامي، سمعتك وأرة.
دوت يافريقيا فألهبت البشرية⁽⁸⁸⁾.
يروى التاريخ المعارك والمجازر
أسطورة الدم والضحايا في الجزائر⁽⁸⁹⁾.

الدماء أنهار في الجبال، نوفمبر الشهر الدامي رمز راية الثورة، الدم أسطورة معارك تاريخ أسود دامي، مجزرة وضحايا، فداء للأرض الطيبة (الجزائر).

هذه نتف أثرنا فيها الظاهرة الرمزية عند الشاعر (الدم) لمن أراد أن يغوص ويعمق المدرسة.

وعندها وقفنا على ثلاثية متناثرة في (أطلس المعجزات) "الشاهقات"، "الدم"، "العيد"، (الحرية، الاستقلال، تقرير المصير يمر حتما عبر الشاهقات (الحبل، المكان، المأوى،...) مكان يعيشه الثائر فيه الأنفة والشموخ، مكان يخشاه الغاصب لأنه مقبرة له وحفرة من حفره، هنا يلتقي الدمان: الدم الطاهر الذكي النقي (دم الشهيد) والدم الخبيث النجس، يوم يلتقي الجمعان، ويتمخض الدم في إشارات وإيحاءاته: التميز، الحياة، الفدى، الانتماء،....)

إنها الحرية التي ظل الجزائري، يضحي من أجلها بملايين الشهداء الأبرار حتى انقادت له تجر أذيالها.

في كل هذا لجأ الشاعر إلى توظيف الثقافة التراثية من أجل تعميق مفاهيم الرمز "الدم".

لك حيي يوم تعلوبسمة النصر ثرنا
ويذيب الليل والآلام فجرٌ من دمانا⁽⁹⁰⁾
أنا فداهم بالدمما
فوق الصعيـد الأقدس
فوق الشاهقات (الأطلس.....)
كأنني بالتربة الحمراء من دم الشهيد
رفلت عليها بالفخار مواكب العهد الجديد⁽⁹¹⁾

العهد الجدي (العيد، الاستقلال)، بدم الشهيد، رمز التضحية والفدى.

أي سلم؟ وللرصاص ضحايا.
تترامى على الرصيف المديد.
أي عيد يوقف اطلاق النار؟
ولهم في دمانا ألف عيد⁽⁹²⁾
يا تجار الدماء، يا بؤرة اليا
س، ويا نكسة الدخيل الحقود⁽⁹³⁾

أسئلة خرجت عن حقيقتها إلى النفي، لا سلم، لا عيد والدم البرئ عيد،
نداء يكشف حقيقة الدخيل فهو تاجر دماء ومصاصها ودونك بيتي الشاعر لت
رأي لك الثلاثة.

يا عيد دونك شاهقات الأطلس السعالي ففيها للمحافل مجمع
حيث العدو في رقصة المذبوح عر يدهم بخمر الدم كاس مثرع⁽⁹⁴⁾
لا يطلع فجر العيد إلا على سفوح الجبال أين يلقن العدو الدروس ويسقى
بكؤوس من دماء.
هذه القصائد أدناه على تنوعها نجد الشاعر يمزج فيها بين الواقع في الثورة
الجزائرية وبين المحيط العربي الذي انتمى إليه الجزائريين والمجتمع الإنساني الحر.
حيث الدم رمزا للإنتهاء القومي العربي.

يوم تمحض من ارادات الشعوب
في آسيا اليقظي وإفريقيا الغضوب
في كل شبر ضرجته الحروب يد الحروب.
وعلى سفوح الأطلس القانسي الدروب
متوهج الأشراق مشبوب الغروب⁽⁹⁵⁾

سكنت ألسن عن الضماد لما ألسن النار رددته فبانا
عرب اليوم بالدماء، وإننا عرب في غد دما ولسانا⁽⁹⁶⁾

لقد أدرك الشاعر العربي أصالة أنه لا يستطيع أن يبرح المكان وأن يحتويه في حياته وموته، كيف لا والمكان الأرض الطيبة أرض الجزائر، أرض المليون ونصف المليون شهيد رحلوا إلى جنات عرضها السموات والأرض مخضبة أجسادهم بالدماء القدسية التي أحيت القلوب وأرجعت الأمل فكانت نبراسا وهاديا لكل من أراد الحرية لينهج نهجا ويسلك سبيلها.

فليت أبناءنا يدركون أن الدماء غالية وإراقتها خسارة كبرى للوطن والأمة والإنسانية قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)، ويقول: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا

"فما يجري اليوم ليس جديدا، فالسيد أو المدير أو المعمر الفرنسي لا يشبع ولا يرئوي من امتصاص دماء الآخرين، مائة وثلاثون سنة لا تكفيه ولا يكفيه امتصاصه العذاري وأكل لحوم البشر"⁽⁹⁶⁾ والعدو واحد وإن تنوع.

الهوامش

1- المدينة في الشعر العربي الجزائري (1925-1962)، د. ابراهيم رماني، ص 11.

2- البصيرة للبحوث والدراسات الإنسانية، دوبة تصدرها عن مركز البحوث والدراسات الإنسانية، مؤسسة ابن خلدون للدراسات والبحوث، العدد 5، السداسي الأول، مارس، أطلس المعجزات، صالح خرفي، قصيدة أوراس، ص 11-15.

3- المصدر نفسه، ص 19-22.

4- المصدر نفسه، ص 79-86.

5- المصدر نفسه، ص 53-54.

6- المصدر نفسه، ص 79-86.

7- المصدر نفسه، ص 89-91.

8- المصدر نفسه، ص 135-146.

9- المصدر نفسه، قصيدة " العيد والجزائر الدامية "، ص 39-41.

10- المصدر نفسه، قصيدة " سلاحنا وسلاحهم "، ص 65-67.

11- المصدر نفسه، قصيدة " الجرح المتجاوب "، ص 220-225.

12- المصدر نفسه، قصيدة " الجزائر الثائرة "، ص 121-126.

13- المصدر نفسه، قصيدة " أوراس "، ص 11-15.

14- المصدر نفسه، قصيدة " صرخة الأحرار "، ص 25-30.

15- المصدر نفسه، قصيدة " النار هي الحكم "، ص 61-62.

16- المصدر نفسه، قصيدة " استريحي يا جميلة "، ص 89-91.

17- المصدر نفسه، قصيدة " قصيدة موجة الحرية "، ص 130-132.

18- المصدر نفسه، قصيدة " العيد الجريح "، ص 135-146.

19- المصدر نفسه، ص 199-202.

20- المصدر نفسه، ص 205-209.

21- المصدر نفسه، قصيدة " استريحي يا جميلة "، ص 89-91.

22- المصدر نفسه، قصيدة " على الشاهقات "، ص 53-54.

23- المصدر نفسه، قصيدة " يا عيد بالشاهقات "، ص 71-76.

24- المصدر نفسه، قصيدة " نداء الضمير "، ص 193 و " عهد جديد "، ص 109.

- 25- المصدر نفسه، قصيدة " صرخة الأحرار" ص: 25
- 26- المصدر نفسه، قصيدة " العيد والجزائر الدامية" ص: 33
- 27- المصدر نفسه، قصيدة " يوم الجزائر" ص: 79 و"الأم المتحدة" ص: 183
- 28- المصدر نفسه، قصيدة " العيد الجريح" ص: 135
- 29- المصدر نفسه، قصيدة "الجزائر الثائرة" ص: 121
- 30- المصدر نفسه، قصيدة " الجزائر في الاضراب العام" ص: 47
- 31- دراسة سيميائية أين ليلاي"، د. ع، مرتاض، ص 94.
- 32- ينظر المصدر نفسه، ص: 94
- 33- أطلس المعجزات، ص: 110
- 34- المصدر نفسه، ص: 30-73-97-135-162
- 35- المصدر نفسه، ص: 20
- 36- النقد الجزائري المعاصر من الأنسونية إلى الألسنية، يوسف وغليسي، رابطة إيداع الثقافية، ص 202-205.
- 37- معجم تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: يعقوب عبد النبي والأستاذ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج14، ص 216-217.
- 38- معجم تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المجلد الثامن، فصل الدال، باب الميم، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ص 293-394.
- 38- معجم لسان العرب، ابن منظور، ج15، فصل الدال، حرف الميم، الدار المصرية للتأليف، ص 96-97.
- 39- معجم الرائد، جبران مسعود، ط4، دار المعلم للملايين، ص 679.
- 40- ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، د: زكريا صيام، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 280.
- 41- ديوان محمد العيد، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 418.
- 42- المصدر نفسه، ص426.
- 43- المصدر نفسه، ص331.
- 44- المصدر نفسه، ص433.
- 45- المصدر نفسه، ص435.
- 46- اللهب المقدس، مفدي زكريا، ص 343.
- 47- إلياذة الجزائر، مفدي زكريا، موقف للنشر والتوزيع، ص 75.

- 48- النشيد الوطني "قسما".
- 49- جوائز الذكرى العشرين للإستقلال، مجلة آمال، العدد 8، وزارة الثقافة، ص 116.
- 50- ديوان أطلس المعجزات، صالح خرفي، ط 2، 1982، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص 11-283.
- 51- المصدر نفسه، قصيدة "أوراس"، ص 13، و"سلاحنا وسلاحهم" ص: 65
- 52- المصدر نفسه، قصيدة "عهد جديد"، ص 110.
- 53- المصدر نفسه، قصيدة "العيد الجريح"، ص 145.
- 54- المصدر نفسه، قصيدة "يوم الجزائر"، ص 161.
- 55- المصدر نفسه، قصيدة "يوم الجزائر"، ص 162.
- 56- المصدر نفسه، قصيدة "الجرح المتجاوب"، ص 222.
- 57- سورة آل عمران 169-17.
- 58- د.مرتاض، المرجع السابق، ص 96.
- 59- ديوان أطلس المعجزات، "قصيدة مأساة تبسة"، ص 20.
- 60- المصدر نفسه، قصيدة "العيد والجزائر الدامية"، ص 32.
- 61- المصدر نفسه، ص 35.
- 62- المصدر نفسه، قصيدة "يوم الجزائر"، ص 86.
- 63- المصدر نفسه، قصيدة "يوم الجزائر"، ص 84.
- 64- المصدر نفسه، قصيدة "عهد جديد"، ص 116.
- 65- المصدر نفسه، قصيدة "قصيدة الجزائر الثائرة"، ص 121.
- 66- المصدر نفسه، قصيدة "العيد الجريح"، ص 140.
- 67- المصدر نفسه، قصيدة "العيد الجريح"، ص 145.
- 68- المصدر نفسه، قصيدة "نوفمبر" ص: 169
- 69- المصدر نفسه، قصيدة "الجرح المتجاوب"، ص 222.
- 70- المصدر نفسه، قصيدة "النار هي الحكم"، ص 62.
- 71- المصدر نفسه، قصيدة "قصيدة يوم الجزائر"، ص 79.
- 72- المصدر نفسه، قصيدة "قصيدة الجزائر الثائرة"، ص 121.
- 73- المصدر نفسه، قصيدة "العيد الجريح"، ص 139.
- 74- المصدر نفسه، قصيدة "يوم الجزائر" ص: 161
- 75- المصدر نفسه، قصيدة "الخفافيش" ص: 207.

- 76- المصدر نفسه ، قصيدة " أطلس المعجزات " ، ص 236.
- 77- المصدر نفسه ، قصيدة " ياعيد بالشاهقات " ، ص 71.
- 78- المصدر نفسه ، قصيدة " عيد بلا أم " ، ص 97.
- 79- المصدر نفسه ، قصيدة " عهد جديد " ، ص 110.
- 80- المصدر نفسه ، قصيدة " يوم الجزائر " ، ص 160.
- 81- المصدر نفسه ، قصيدة " يوم الجزائر " ، ص 164.
- 82- المصدر نفسه ، قصيدة " العيد الجريح " ، ص 141.
- 83- المصدر نفسه ، قصيدة " أنت يا شعب " ، ص 213.
- 84- المصدر نفسه ، قصيدة " نوفمبر " ، ص 180.
- 85- المصدر نفسه ، قصيدة " الصاعدون " ، ص 200.
- 86- المصدر نفسه ، قصيدة " استريحي يا جميلة " ، ص 90.
- 87- المصدر نفسه ، قصيدة " نوفمبر " ، ص 180.
- 88- المصدر نفسه ، قصيدة " نوفمبر " ، ص 176.
- 89- المصدر نفسه ، قصيدة " يوم الجزائر : " ، ص 165.
- 90- المصدر نفسه ، قصيدة " نداء الضمير " ، ص 194.
- 91- المصدر نفسه ، قصيدة " الصاعدون " ، ص 201.
- 92- المصدر نفسه ، قصيدة " الخفافيش " ، ص 206.
- 93- المصدر نفسه ، ص 206.
- 94- المصدر نفسه ، قصيدة " ياعيد بالشاهقات " ، ص 74.
- 95- المصدر نفسه ، قصيدة " يوم الجزائر " ، ص 161.
- 96- المصدر نفسه ، قصيدة " العيد الجريح " ، ص : 143
- 97- الشعر في زمن الحرية (دراسات أدبية ونقدية) ، د. ع الركيبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 220.